وهي قصيدة فائقة مشتملة على حكم نافعة. ومن نظمه الأبيات التي منها: [من الطويل]

سَرَى وَجَلَى عن مُقْلةِ النائم الغَمْضُ عَشِيَّةَ حنَّ الرعدُ وابتسمَ الوَمْضُ
وأسبلَ جفنُ الغيم واكفَ دَمْعِهِ على صَحْنِ خدِّ الأفقِ فاهتزَّتِ الأرضُ[1]
وَلاعبتِ الأغصانُ وهناً يدَ الصّبا فأصْبَح يَحكي السُّندسَ الورقُ الغَضُّ[2]

(ومات) بصعدة سنة ٩٥٧ سبعٍ وخمسين وتسعمائة.

٥٣٣

(مُحمَّدُ بن يَعْقُوب بن مُحمَّد بن إبراهيم بن عُمر ابن أبي بَكْر بن أحمد بن مَحْمُود بن إدريس بن فَضْل اللَّه ابن الشيخ أبي إسْحَاق إبراهيم بن عليّ بن يُوسف بن عبد اللَّه المجد أبو طاهر الفَيْرُوزباذي)[3]

الشيرازيّ اللغويّ الشافعيّ الإمام الكبير الماهر في اللغة وغيرها من الفنون. ولد سنة ٧٢٩ تسعٍ وعشرين وسبعمائة بكازرون من أعمال شيراز، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ كتاباً من اللغة، وانتقل إلى شيراز وهو ابن ثماني سنين، وأخذ عن والده، وعن القوام عبد اللَّه بن النجم وغيرهما من علماء شيراز، وسمع على مُحمَّد بن يُوسف الأنصاري. وارتحل إلى العراق ودخل واسط وقرأ بها القراءات العشر، ثم دخل بغداد فأخذ عن التاج بن السبّاك، والسراج عمر بن علي القزويني وغيرهما. ثم ارتحل إلى دمشق فدخلها سنة (٧٥٥) فسمع من التقي السّبكي وجماعة زيادة على مائة، كابن القيّم وطبقته، ودخل بعلبك وحماة وحلب والقدس، وسمع من جماعة من أهل هذه الجهات. واستقرّ بالقدس نحو عشر سنين، ودرّس وتصدّر وظهرت فضائله وكثر الأخذ عنه، وتتلمذ له جماعة من الأكابر، كالصلاح الصفدي. ثم دخل القاهرة فلقي بها جماعة كالعزّ بن جُماعة، والإسنوي، وابن هِشَام،

---

(١) أَسْبَلَ: أَسالَ. دمعٌ واكفٌ: سَائلٌ، مُنْهَلٌّ.

(٢) الوَهْنُ: نحو نصف الليل، أو بعد ساعةٍ منه. الصبا: ريح الشرق الناعمة. السُّنْدُسُ: ضربٌ من رقيق الديباج.

(٣) ترجمته في: شذرات الذهب: ٧/ ١٢٦؛ الضوء اللامع: ١٠/ ٧٩؛ بغية الوعاة: ١١٧؛ كشف الظنون: ١٤، ٣٥٤، ١٩٣٥؛ إيضاح المكنون: ١/ ٨٠؛ هدية العارفين: ٢/ ١٨٠؛ معجم المؤلفين: ١٢/ ١١٨؛ الأعلام: ٧/ ١٤٦.

والبهاء بن عقيل. وحجّ فسمع بمكة من اليافعي وغيره. وجال في البلاد الشمالية والمشرقية، ودخل الروم والهند، ولقي جمعاً من الفضلاء، وحمل عنهم شيئاً كثيراً. ثم دخل اليمن فوصل إلى زبيد في سنة (٧٩٦) بعد وفاة قاضي الأقضية باليمن كلّه الجمال الريمي شارح التنبيه، فتلقاه الملك الأشرف إسماعيل بالقبول، وبالغ في إكرامه، وصرف له ألف دينار سوى ألف كان أمر ناظر عدن أن يجهزه بها. واستمر مقيماً لديه ينشر العلم، فكثر الانتفاع به. وبعد مضي نحو سنة أضاف إليه قضاء اليمن كله بعد ابن عجيل، فقصده الطلبة وقرأ عليه السلطان فمن دونه في الحديث. واستقر قدمه بزبيد إلى أن (مات). وكان السلطان الأشرف قد تزوج ابنته لمزيد جمالها، ونال منه برّاً ورفعةً بحيث صنّف له كتاباً وأهداه على أطباق فملأها له دراهم. وفي أثناء هذه المدة قدم مكة مراراً فجاور بها، وبالمدينة والطائف، وعمل مآثر حسنة. وكان زائد الحظ مقبولاً عند السلاطين، فم يدخل بلداً إلّا وأكرمه صاحبها مع كثرة دخوله إلى الممالك. ومن جملة المكرمين له تَيْمُورلنك، وسلطان الروم ابن عُثمان، وشَاه مَنْصُور صاحب تبريز، وأحمد بن أويس صاحب بغداد، والأشرف صاحب اليمن وغيرهم. ووصل إليه من عطاياهم شيء كثير، فاقتنى من ذلك كتباً نفيسة حتى قال: إنه اشترى منها بخمسين ألف مثقال من الذهب. وكان لا يسافر إلّا ومعه منها عدة أحمال، ويخرج أكثرها في كل منزل فينظر فيها ثم يعيدها. وكانت له دنيا طائلة، ولكنه كان يدفعها إلى من يسرف في إنفاقها بحيث إنه قد يُملق أحياناً فيبيع بعض كتبه.

وله مصنفات كثيرة نافعة، منها في التفسير (لطائف ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) في مجلدات، و(تنوير المقياس في تفسير ابن عباس) أربعة ملجدات، و(تيسير فاتحة الإياب في تفسير فاتحة الكتاب) في مجلد كبير، و(الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم)، و(حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الإخلاص)، وشرح (قطبة الخشاف في شرح خطبة الكشاف). وفي الحديث والتاريخ (الشوارق العلية في شرح مشارق الأنوار النبوية) أربعة مجلدات، و(فتح الباري في شرح صحيح البخاري). ولعل ابن حَجَر لم يسمع بذلك حيث سمى شرحه بهذا الاسم، كمل منه نحو عشرين مجلداً، وكان يقدر إتمامه في أربعين، و(عمدة الحكام في شرح عمدة الأحكام) في مجلدات، و(امتضاض السهاد في افتراض الجهاد) في مجلد، و(الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد) ثلاثة مجلدات، و(المرقاة الوفية في طبقات الحنفية)، و(البلغة في تراجم أئمة النحاة واللغة)، و(الفضل الوفي في العدل الأشرفي)، و(نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان)، و(تسهيل طريق الفصول في الأحاديث الزائدة على جامع الأصول)، و(الأحاديث الضعيفة)، و(الدر الغالي في الأحاديث العوالي)، و(سفر

السعادة)، و(المتفق وضعاً والمختلف صقعاً). وفي اللغة (اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب وزيادات امتلأ بها الوطاب). وكان يقدر تمامه في مائة مجلد كل مجلد يقرب من صحاح الجوهري، و(القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من لغة العرب شماطيط) في مجلدين، وهو كتاب ليس له نظير. وقد انتفع به الناس ولم يلتفتوا بعده إلى غيره، و(المقصود لذوي الألباب من علم الإعراب)، و(تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين)، و(المثلث الكبير) في خمسة مجلدات، والصغير، و(الروض المسلوف فيمن له إسمان إلى ألوف)، وغير ذلك من المصنفات الكثيرة الواسعة الشهيرة. قال التقيّ الكرماني، كان عديم النظير في زمانه نظماً ونثراً بالفارسي والعربي، وكان كثير الاقتداء بالصنعاني ماشياً على طريقته تابعاً لمنهجه حتى في كثرة المحاورة. وحكى الخزرجي أنه رام التوجّه في سنة (٧٩٩) إلى مكة فكتب إلى السلطان ما مثاله.

ومما ينهيه إلى العلوم الشريفة أنه غير خافٍ عليكم ضعف أقل العبيد، ورقة جسمه ودقة بنيته وعلوّ سِنّه. وقد آل أمره إلى أن صار كالمسافر الذي تحزّم وانتقل. إذ وهن العظمُ بل والرأس اشتعل. وتضعضع السنّ وتقعقع الشنّ. فما هو إلّا عظام في جراب. وبنيان مشرف على الخراب، وقد ناهز العشر التي تسميها العرب دقاقة الرقاب. وقد مرّ على المسامع الشريفة غير مرة في صحيح البخاري قول سيدنا رسول اللَّه ﷺ: «**إذا بلغ المرء ستين سنة فقد أعذر اللَّه إليه فكيف من نيّف على السبعين وأشرف على الثمانين**». ولا يجهل بالمُؤمن أن تمضي عليه أربع سنين. ولا يتجدد له شوق وعزم إلى بيت رب العالمين. وزيارة سيد المرسلين. وقد ثبت في الحديث النبوي ذلك. وأقل العبيد له ستّ سنين عن تلك المسالك. وقد غلب عليه الشوق. حتى جلّ عمره عن الطوق، ومن أقصى أمنيته أن يجدد العهد بتلك المعاهد. ويفوز مرة أخرى بتقبيل تلك المشاهد. وسؤاله من المراحم الحسنة الصدقة عليه بتجهيزه في هذه الأيام، مجرداً عن الأهالي والأقوام قبل اشتداد الحرّ وغلبة الأوام. فإنّ الفصل أطيب والريح أزيب، ومن الممكن أن يفوز الإنسان بإقامة شهر في كل حرم، ويحظى بالتملي في مهابط الرحمة والكرم. وأيضاً كان من عادة الخلفاء سلفاً وخلفاً وأنهم كانوا يبردون البريد عمداً قصد تبليغ سلامهم إلى حضرة سيد المرسلين فاجْعَلني جَعلني اللَّه فِداك ذلك البريد، فلا أتمنى شيئاً سواه ولا أزيد: [من البسيط]

شَـوْقٌ إلـى الـكـعـبـةِ الـغـرّاء قَـدْ زَادا فَاسْتَحْمِلِ القُلُصَ الوخَّادة الزَّادا[1]

(١) الغَرَّاءُ: البيضاء، الكريمة، المشهورة. القُلُصُ: جمع القلوص: الناقة الفَتيَّة القَويَّة. الوَخَّادَة: السَّريعة السَّيْر.

واستأذنِ الملكَ المِنْعَامَ زَيْدَ عَلي واسْتَودعِ اللَّه أصحاباً وأولادا[1]

فلما وصل هذا إلى السلطان كتب في طرة الكتاب ما مثاله:

صدر الجمال المصري على لساني ما يحققه لك شفاهاً أن هذا شيء لا ينطق به لساني ولا يجري به قلمي، فلقد كانت اليمن عمياء فاستنارت، فكيف يمكن أن تقدم وأنت تعلم أن اللَّه قد أحيا بك ما كان ميتاً من العلم، فباللَّه عليك إلّا ما وهبت له بقية هذا العمر. واللَّه يا مجد الدين يميناً بارّةً إني أرى فراق الدنيا ونعيمها ولا فراقك أنت اليمن وأهله. انتهى. وفي هذا الكلام عبرة للمعتبرين من أفاضل السلاطين بتعظيم قدر علماء الدين. وقد أخذ عنه الأكابر في كل بلاد وصل إليها. ومن جملة تلامذته الحافظ ابن حَجَر، والمقريزي، والبرهان الحلبي. (ومات) ممتعاً بسمعه وحواسه في ليلة عشرين من شوّال سنة ٨١٧ سبع عشرة وثمانمائة بزبيد وقد ناهز التسعين.

(٥٣٤)

(السيد مُحمَّد بن يُوسُف بن أحمد ابن يُوسُف بن الحُسَين بن الحَسَن ابن الإمام القاسِم ابن مُحمَّد الصنعاني)

ولد شهر رمضان سنة ١١٧٥ خمسٍ وسبعين ومائة وألف ونشأ بصنعاء، فأخذ عن والده، وعن شيخنا العلَّامة الحَسَن بن إسماعيل المغربي، والسيد العلَّامة شَرَف الدين بن إسماعيل بن مُحمَّد بن إسْحاق، والسيد العلَّامة عليّ بن عبد اللَّه الجَلال، وعن جماعة آخرين. وبرع في المنطق والنحو والصرف، وشارك في غير ذلك، وهو ممتع المحاضرة حسن الأخلاق كثير المحفوظات في الأشعار والأخبار، متقللاً من الدنيا مقتصداً في ملبوسه، مائلاً إلى طريقة الصوفية. وكثيراً ما يشتغل عليه الطلبة في علم النحو والمنطق، واستفادوا منه. وكان والده عارفاً بالنحو والمنطق أيضاً. وأما جدُّه فقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة. وصاحب الترجمة في قيد الحياة مشتغلاً بالعلم أتم اشتغال لا برح في حماية ذي الجلال، وقد كان حضر معنا في قراءتنا للعضد على شيخنا المغربي، فكان يجيد المباحثة في المقدمات المنطقية، واستمر حتى انقضت، ثم ترك الحضور[2].

---

(١) المِنْعَامُ: الكثير الإنعام: العطاء والجود.

(٢) وكانت وفاته سنة ١٢٤٣هـ.